

من عجائب التصغير في بعض الكلمات

الأستاذ / محمد بن تاويت

لأكتب الله ، أني لجأت إلى كتب عديدة أمهلت وبنات ، نحويات ولغويات ، كذلك . فكان من بنت اللغويات «المتجد» (الذى يتتجنى عليه ، بعضهم ، وما خدم المعلم العربى بمثل ما خدمه «المتجدد» طوال القرن الرابع عشر المجرى ، تقريباً) فوجده ينص بالشكل على هذا التصغير ، الذى سمه الدكتور طه من شيوخه، في هذه الكلمة «دُؤيَّة» . وكان من أمهات اللغة ، كتاب ابن منظور ، أعني (سان العرب) ، الذى تال «وتتصغير دابة دوبية ، الباء ساكتة ، وفيما اشمام من الكسر ، وكذلك باء التصغير إذا جاء بعدها حرف مثلث في كل شيء . ونقل هذه العبارة كذلك الزيبدي صاحب (الناج) وهذا يؤيد ما نقله ، أو سمه الدكتور طه حسين ، إذ الباء ساكتة ، وما بعدها مثلث ، وترجمت أيضاً ، إلى كتاب المصباح النير ، فوجدت فيه نصل مائدة عظيمة ، فهو يقول : «وتتصغيرها دوبية على القياس يعني التشديد كذلك لأن هذا القياس يقتضيه) وسمع دوابة ، بتقلب الباء الفا على غير قياس .

ولعمري أن هذه المخالفة للقياس ، احرى بأن تتقبل لدى الانواع العربية السليمة السليقة ، وكل ما في الامر أن التصغير جاء على هذه الحال ، تقديرًا لهذه الكلفة ، فتقبلها العربية ، على الرغم من أنف القاعدة العامة التي أقيمت لها . ويكون الخروج عن

جمعني مجلس في دور بعض أساتذة كلية الآداب لناس ، ببعض الانماض من أساتذة الاقطر العربي الشقيقة ، كان فيهم الأديب العالم الدكتور عبد الله الطيب السوداني . وفي أحديتنا انجر الكلام إلى الأزهر الشريف ، الذي كان الدكتور يشيد بما فيه ولاريقة تلقينه المديدة ، ويأسف لتقلص ظل السماوات منها ، في عصرنا الحاضر . ومثال لفائدة السماع ، ذكر أن استاذنا الدكتور طه حسين — رحمة الله — سئل ذات يوم عن تصغير دابة ، فقال ، أنه سمع من شيوخه ، أنها دُؤيَّة ، بتشديد الباء . فلعل الدكتور السوداني ، على مائدة السجاع في هذه القضية ، التي لولاه ، لاحتمنا فيها .

والحقيقة أني استغرقت في قراره نفسي ، هذا التصغير ، الذي يجتمع فيه محظوظ التقاء الساكتين ، ليس احدهما حرف لين . وكانت فيما مضى ، ساهياً عن تعادة التصغير في دابة ، فتقبلتها ، بتخفيف الباء ، مع أن القاعدة تابي ذلك ، حيث تقول الخلاصة ،

نعييل مع فعييل لما ناق كجعل درهم درهما
اذن ما الحبلة في التخلص من المخذولين .

انك اذا كسرت مدقعاً للجمع ، قلت ، مدقّ ، ولو كسرت أضمّ ، على عدة حروفه ، كما تكسر اجدلاً ، فتقول ، اجادل لقلت ، أضمّ ، فائماً اجريت التحثير على ذلك ، وجاز ان يكون الحرف المدغم بعد الياء الساكنة ، كما كان ذلك بعد الالف التي في الجمع .

فهنا نجد (سيبويه) ، ينفس عنا هذا الضيق الذي نشعر به عند هذا التصغير ، بأن الياء الساكنة ، قبل ذلك الساكن الذي تخرج عن الادغام ، نزلت منزلة الالف . وهو لا حرج عليه ، في نحو الطامة والصلحة والسلدة والدابة ، ونحو ذلك مما له امثلة عديدة في العربية ف تكون نتيجة التصغير في هذه الكلمات ، مطوية ، ومؤدية ، ومؤيدة ، بتشديد ما بعد ياء التصغير ، كما قيل في دويبة ، مما تحولت الالف الثانية فيه واوا عند التصغير ، بمقتضى قول الخلاصة :

والالف الثاني الذي يجعل واواً كذا الامر فيه يجعل

وهذه الفائدة اظن ان كثيراً مثلـي ، كانوا يجعلونها ، وينطلقون عن حسن نية منهم ، كلمة دويبة بفتح الياء المخنفة ، ولهم عذرهم في هذا . . . واعتماداً على ما ذكر سماعه في المصباح ، فيمكن تصغير هذه الكلمات ، مطوأمة ، ومؤادة ، ومؤيدة ، ونحوها حواقة ، للكلمة «الحادة ما الحادة» وجواذة ، للجاد ، وجواذة ، للحامة ف تكون صيغة فعالة ، بتشديد اللام ، صيغة عرفت في هذا الباب ، ولا ندرى مصادتها ولا مصدق غيرها ، فيما ذكر سلفاً ، من النصوص العربية المتقدمة ، التي لسا تسعفنا حتى هذه اللحظة من حياتنا .

القياس له وجه ، كما هو في عشرات ، بل مئات المسائل اللغوية والصرفية في العربية الرقيقة الحاشية ، أما كتب النحو ، فوجدت من بينها شرح الاشموني ، الذى نص على قاعدة ، أصحت اليها بكل اهتمام ، معتقد انها ستفيدني «انما نعلم» ، لأن العمل من حشى على الشرح ، وسكت الجميع ، او مرروا بها من الكرام ، فقد قال الاشموني :

«نان كانوا في كلمتين ، مثل جعل لك ، كان الادغام جائزاً ، لا واجباً بشرطين ، ان لا يكونا همزتين ، نحو ترا آية ، نان الادغام في مثله رديء ، وأن لا يكون الحرف الذى قبلهما سلكاً غير لين »

فإذا أخذنا بهذه العلة مجردة ، وبصرف النظر عن كونها ذكرت ، في حالة كون الادغام في كلمتين ، فأننا لا نجيز قياس التصغير الذى طبق على دويبة ، بما سمع وذكر مراجحة ، في المعاجم الآتية الذكر .

وبقى السؤال بعد هذا ، لا يجد له جواباً وهو متعرض للنقض ، من جانب آخر .

ونطوى كتب المتأخرین ، ومن هم في حكم المتأخرین ، وتصعد في الزمان ، الذى بنته بهما مئات السنين .

انتنا ان فعله هذا وقفتنا عند عتبة التحو الاولى ، وعند «الكتاب» الذى هو أقدم ما عرف في تأليف النحو على الاطلاق والاستغراق . ففي هذا «الكتاب» نجد سيبويه يقول : « هذا باب تصغير المضاعف الذى قد ادغم أحد الحرفين منه في الآخر ، وذلك قوله في مدقق ، وفي أضمّ ، أصيم ، ولا تغير الادغام عن حاله ، كما